شَهْرُ شَعْبَانَ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا..

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

نَعِيشُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مَوْسِمًا رَابِحًا لِلتِّجَارَةِ مَعَ اللهِ، أَلَا وَهِيَ أَيَّامُ شَهْرِ شَعْبَانَ الَّذِي قَدْ غَفَلَ عَنْهَا الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِصْدَاقَ ذَلِكَ، لَمَّا سَأَلَهُ أسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ فِي شَعْبَانَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ

الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

فَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- يَرْقُبُونَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي عِبَادَاتِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ، وَفِي كُلِّ حَيَاتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مُرَاقَبَتُهُمْ لَهُ فِي صِيَامِهِ؛ الْفَرْضِ مِنْهُ وَالتَّطَوُّعِ؛ لِيَتَعَلَّمُوا مِنْهُ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ أَيْ: لَا تُكْثِرُ مِنْ صِيَامِ التَّطَوُّعِ فِي شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ السَّنَةِ بِمِثْلِ مَا تُكْثِرُ فِي صِيَامِ شَعْبَانَ، وَكَانَ قَدْ وَرَدَ فِي صِيَامِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِشَعْبَانَ مَا رُوِيَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ».

فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأُسَامَةَ مُبَيِّنًا لَهُ سَبَبَ صِيَامِهِ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ»، أَيْ: يَسْهُو النَّاسُ عَنْهُ لِإِكْثَارِهِمُ الْعِبَادَةَ فِي هَذَيْنِ الشَّهْرَيْنِ، «وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ»، أَيْ: أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، «إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ»؛ فَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْأَعْمَالُ فِيهِ صَالِحَةً، «فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»؛ أَيْ: لِأَنَّ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ الصَّوْمَ، أَوْ أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ إِذَا صَاحَبَهَا الصَّوْمُ رَفَعَ مِنْ قَدْرِهَا، وَأَثْبَتَ خُلُوصَهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي تُرْفَعُ إِلَيْهِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ هِيَ أَعْمَالُ السَّنَةِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ-: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ»، وَأَنَّ أَعْمَالَ الْأُسْبُوعِ تُعْرَضُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، كَمَا فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ

أَيْضًا، وَقِيلَ: هَذَا يَحْتَمِلُ عَرْضَهَا فِي السَّنَةِ جُمْلَةً، وَيَحْتَمِلُ عَرْضَهَا فِي الْأَيَّامِ أَوِ الْأُسْبُوعِ تَفْصِيلًا أَوِ الْعَكْسَ؛ فَكَأَنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَرْضًا بَعْدَ عَرْضٍ، وَلِكُلِّ عَرْضٍ حِكْمَةٌ واللَّهُ تَعَلَى أَعْلَمُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ شَهْرَ شَعْبَانَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْمُرغَّبِ فِيهَا بِالصَّوْمِ.

وَمِنَ الْفَوَائِدِ الْمَرْجُوَّةِ كَذَلِكَ مِنَ الصِّيَامِ فِي هَذَا الشَّهْرِ: تَوْطِينُ النَّفْسِ وَتَهْيِئَتُهَا لِصِيَامِ رَمَضَانَ، فَإِذَا أَقْبَلَ رَمَضَانُ كَانَتْ مُسْتَعِدَّةً لِصِيَامِهِ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، قَادِرَةً عَلَيْهِ دُونَ عَنَاءٍ وَتَكَلُّفٍ، مُتَأَهِّبَةً لِغَيْرِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ، فَتَعْظِيمُ شَعْبَانَ مِنْ تَعْظِيمِ رَمَضَانَ كَالسُّنَّةِ الْقَبْلِيَّةِ لِلصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، تَعْظِيمًا لِحَقِّهَا، وَتَأَهُّبًا لِأَدَائِهَا، وَلِلَّهِ دَرُّ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَتَهَيَّأُ لِصَوْمِ شَعْبَانَ، كَمَا يَتَهَيَّأُ لِصَوْمِ رَمَضَانَ!

أَسْأَلُ اللهَ -تَعَالَى- أَنْ يَرْزُقَنَا ذِكْرَهُ وَشُكْرَهُ وَحُسْنَ عِبَادَتِهِ، وَأَنْ يَحْفَظَ عَلَيْنَا دِينَنَا، وَعَافِيَتَنَا، وَصِحَّتَنَا، وَأَمْنَنَا، وَأَنْ يَدْفَعَ عَنَّا الْغَلَاءَ وَالرِّبَا وَالزِّنَا وَالزَّلَازِلَ وَالْمِحَنَ، وَسُوءَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ؛ عَنْ بَلَدِنَا هَذَا، وَعَنْ سَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.